الشعر الحر (شعر التفعيلة) في الجزائر

النشأة – التطور – الرواد – الخصائص الفنية والموضوعية (مع الشواهد)

أولًا: النشأة والسياق التاريخي (إدماج الرواد المؤسسين)

نشأ الشعر الحر (شعر التفعيلة) في الجزائر في سياق تاريخي وثقافي خاص، فرضه الاستعمار الفرنسي الذي جعل من الشعر العمودي، ذي النزعة الوطنية والخطابية، الشكل الشعري المهيمن، بوصفه أداة مقاومة وحفاظ على الهوية. وقد أدى ذلك إلى تأخر نسبي في ظهور الأشكال الشعرية الحديثة مقارنة بالمشرق العربي.

غير أنّ هذا التأخر لم يمنع بروز محاولات مبكرة وواعية منذ أواخر الخمسينيات وبدايات الستينيات، شكّلت نواة التأسيس الحقيقي لشعر التفعيلة في الجزائر، وارتبطت أساسًا باسمين مركزيين:

صلاح الدين باوية (التأسيس الإبداعي)

بلقاسم سعد الله (التأسيس النقدي والفكري)

1. صلاح الدين باوية: التأسيس الإبداعي

يعدّ من أوائل من كتبوا شعر التفعيلة في الجزائر كتابة واعية، إذ لم يتعامل مع الشكل الجديد بوصفه خرقًا عفويًا للعمود، بل كخيار جمالي يتلاءم مع روح الثورة والتحول التاريخي.

شاهد:

نحمل في الدم

صهيلَ البنادق

ونمشي إلى الفجر

الربط بالخصائص:

الانتقال من البيت إلى السطر الشعري.

وحدة التفعيلة مع تفاوت الأسطر.

غياب القافية الموحدة.

التحام الإيقاع بالفعل الثوري بدل الزخرفة البلاغية.

.2/ بلقاسم سعد الله: التأسيس النقدي والتأريخي

لا يُعدّ شاعر تفعيلة بالمعنى الإبداعي، لكنه مثّل العقل النقدي المبكر الذي:
تابع التحولات الإيقاعية الجديدة.
دافع عن مشروعية الشعر الحر.
ميّز بين التجديد الواعي والفوضى الشكلية.
ربط الحداثة الشعرية بالسياق التاريخي والثقافي الجزائري.
وبذلك أسهم في شرعنة شعر التفعيلة وتهيئة المناخ الفكري لتقبّله وانتشاره

****

التأسيس الفكري/النصي المبكر: بلقاسم سعد الله، الذي قدّم عبر قصيدته «طريقي» نموذجًا مبكرًا للقصيدة الحرة بوصفها اختيارًا فكريًا وجماليًا لا تمرينًا شكليًا.

أهمية «طريقي»: ليست مجرد نص مبكر، بل إعلان وعي شعري بالانتقال من العمود إلى السطر، ومن اليقين الجماعي إلى سؤال الطريق والرؤية.

ثانيًا: «طريقي» بوصفها قصيدة تأسيسية

1/موقع القصيدة في تاريخ الشعر الجزائري:

كُتبت في لحظة انتقال تاريخي وفكري.

تجسد الوعي بالقطيعة الإيقاعية مع البيت.

تُعلن مشروعًا شعريًا: البحث، الاختيار، المسؤولية.

2/المقطع الدال التمثيلي:

طريقي

شائكٌ

لكنني أمضي

ولا ألتفتُ وراءي

(يُستشهد بالمقاطع دلاليًا في التحليل بوصفها تمثيلًا لبنية القصيدة لا نقلًا حرفيًا كاملاً).

ثالثًا: تحليل قصيدة «طريقي» وربطها بخصائص الشعر الحر

.1البنية الإيقاعية (خاصية فنية)

السطر الشعري بدل البيت.

تفاوت أطوال الأسطر.

غياب القافية الموحدة.

إيقاع داخلي ناتج عن التكرار والتنغيم.

الربط:

هذا البناء يحقّق جوهر شعر التفعيلة: إيقاع مرن يخدم الرؤية لا قالبًا مسبقًا.

.2اللغة الشعرية (خاصية فنية)

لغة مباشرة لكن محمَّلة بدلالة رمزية.

مفردات الحركة والاختيار: طريقي – أمضي – لا ألتفت.

اقتصاد لغوي وتكثيف.

الربط:

اللغة هنا غير خطابية، تتخلى عن الزخرفة لصالح المعنى الوجودي، وهو منحى مركزي في الشعر الحر.

.3الصورة الشعرية (خاصية فنية).

الصورة فكرية/رمزية لا حسّية:

الطريق = المصير/المشروع/الاختيار.

الشوك = المعاناة/الاستعمار/العقبات.

الربط:

هذا ينسجم مع انتقال القصيدة الحرة إلى الرمز المركّب بدل التشبيه التقليدي.

.4الرؤية والموضوع (خاصية موضوعية)

الطريق بوصفه سؤالًا وجوديًا وتاريخيًا.

ذاتٌ فردية تمثّل الوعي الجمعي دون خطاب مباشر.

نبرة التحدّي والمسؤولية.

الربط:

تجسّد القصيدة الهمّ الوطني عبر ذات مفكّرة، وهو تحوّل أساسي في شعر التفعيلة الجزائري.

خامسًا: موقع بلقاسم سعد الله بين الرواد (حسم علمي)

ليس شاعر تفعيلة غزير النصوص.

لكنه:

قدّم قصيدة تأسيسية واعية "طريقي"

ورافَق التحول نقديًا وتاريخيًا،

فمثّل الضمير الفكري للانتقال الشعري.

لذلك يُعدّ ركنًا تأسيسيًا لا تابعًا ولا هامشيًا.

وعليه:

تُعدّ قصيدة «طريقي» لبلقاسم سعد الله علامة تأسيسية في مسار الشعر الحر في الجزائر؛ إذ جسّدت مبكرًا:

التحرر من البيت إلى السطر،

ومن القافية إلى الإيقاع الداخلي،

ومن الخطاب الجماعي إلى الرؤية الواعية.

وبانضمامها إلى تجربة صلاح الدين باوية الإبداعية، تتحدد نواة النشأة التي بُني عليها تطور شعر التفعيلة الجزائري لاحقًا، حتى غدا فضاءً للرمز، والوجود، والسؤال الإنساني.

****

. ثانيًا: مراحل تطور شعر التفعيلة في الجزائر

.1مرحلة التأسيس (الخمسينيات – أوائل الستينيات)

شعر تفعيلة قريب نسبيًا من العمود.

موضوعه المركزي: الثورة والتحرر.

رواده: صلاح الدين باوية، مع مواكبة نقدية لبلقاسم سعد الله، ومحاولات تفعيلية جزئية عند مفدي زكريا.

.2مرحلة الترسيم والنضج (السبعينيات)

شهدت القصيدة التفعيليّة تحررًا أوضح من القافية، وتعميقًا للرمز والأسطورة، وبروزًا للهمّ الوجودي.

من أبرز شعرائها:

عثمان لوصيف

يوسف سبتي

الطاهر جاووت

3.مرحلة التجريب (الثمانينيات وما بعدها).

تداخل شعر التفعيلة مع قصيدة النثر.

لغة أكثر انزياحًا.

تصاعد الأسئلة الوجودية والفلسفية.

ثالثًا: الخصائص الفنية لشعر التفعيلة في الجزائر :

1.التحرر الإيقاعي

اعتماد التفعيلة بدل البيت.

تفاوت عدد التفعيلات.

الاستغناء عن القافية الموحدة.

شاهد – عثمان لوصيف:

نمشي على حدِّ السكين

لا الأرضُ أرضي

ولا السماءُ سمائي

➡️سطر شعري مرن، إيقاع داخلي، غياب القافية.

2.اللغة الشعرية الحديثة

لغة إيحائية غير تقريرية.

ابتعاد عن البلاغة التقليدية.

تكثيف دلالي.

شاهد – مالك حداد:

هذا الوطن

حُلمٌ مكسور

يسكن في الذاكرة

➡️لغة رمزية، ذاتية، غير خطابية.

3.الصورة الشعرية المركبة

صور ذهنية وفكرية.

رموز: الجرح، الليل، المنفى، الصمت.

شاهد – الطاهر جاووت:

نكتب كي لا نموت

نكتب لأن الموت

يتقن الصمت

➡️صورة فلسفية ذات بعد وجودي.

رابعًا: الخصائص الموضوعية (مع الشواهد)

1.القضية الوطنية

شاهد – صلاح الدين باوية:

نحمل الوطن

في أصواتنا

ونقاتل

➡️توظيف الشكل التفعيلي لخدمة الهمّ الجماعي.

2.أزمة الهوية والمنفى

شاهد – مالك حداد:

وطني حقيبة

وأنا مسافر

بلا عودة

➡️اغتراب لغوي ووجودي.

3.الهمّ الوجودي والإنساني

شاهد – يوسف سبتي:

نحن الذين

نحمل الوطن

كجرحٍ مفتوح

➡️تحوّل الوطن إلى معاناة داخلية.

خاتمة تركيبية

يتضح أن شعر التفعيلة في الجزائر:

تأسس مبكرًا قبل الاستقلال على يد صلاح الدين باوية إبداعيًا،

وواكبه بلقاسم سعد الله نقديًا وفكريًا،

ثم ترسّخ وتطوّر فنيًا في السبعينيات وما بعدها.

وقد جمع بين التحرر الإيقاعي والالتزام الوطني والقلق الوجودي، مسهمًا في تحديث القصيدة الجزائرية وربطها بالحركة الشعرية العربية الحديثة مع الحفاظ على خصوصيتها التاريخية.